المقتطف

الجزء الثاني من السنة الثامنة عشرة

١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٨٩٣ الموافق ٢١ ربيع الثاني سنة ١٣١١

امراء الامَّة

الناس من جهة التمثال اكفاء ابوهمُ آدمٌ والامُّ حواء
فان يكنْ لهمُ في اصلهم شرفٌ يفاخرون بهِ فالطين والماء

لكنهم تفاضلوا من قديم الزمان فظهر فيهم السوقة والاعيان لان التباين ناموسٌ عامٌّ كالتساوي واذا ساويت بينهم اليوم وجدتَ التباين غدًا لانهم متفاضلون طبعًا في العقول والعزائم . وهذا التفاضل يخضع لهُ الانسان طوعًا ولا ينازع فيهِ لكنهُ اذا صار مُلكًا موروثًا اي اذا صار الانسان يفضَّل على اقرانهِ لا لانهُ يفضلهم عقلاً او ادبًا بل لانهُ مولود من قوم ذوي فضل ووجاهة فهناك تنفر الطباع وتأبى الانصياع وتلتمس سبيلاً للمجاهرة بالعصيان. ولذلك لم تثبت البيوت القديمة بيوت المجد الرفيع والعزة القعساء الاَّ ما دام ابناؤها يرثون فضائل اباءهم فاذا جنحوا الى الخمول او انغمسوا في الرذائل نبذهم الناس نبذ النواة ومزّقوا ما حنظوهُ لهم من شعار المجد لانهم لم يعاهدوا آباءهم عهد رلاء ابد الدهر . وقد يكون هذا النبذ عامًّا يؤخذ فيهِ البريءُ بجريرة الاثيم كما حدث في فرنسا وقتما ثار العامة على امراء البلاد ونكّلوا بهم تنكيلاً. وقد انتبه فضلاء العرب الى ذلك من قديم الزمان فقالوا ان الانسان ابن يومهِ لا ابن امسهِ وان النتي من يقول ها انا ذا لا من يقول كان ابي وقال الطغرائي

ابى الله ان اسمو بغير فضائلي اذا ما سما بالمال كلُّ مسوَّدِ
وان كرُمت قبلي اوائل اسرتي فاني بحمد الله مبدأُ سوددي
اذا شرفت نفس الفتى زاد قدرهُ على كل اسنى منهُ ذكرًا وامجدِ

وقال ابو الجراح البكري

انّا لنبني على ما شيّدتهُ لنا آباؤنا الغرُّ من مجدٍ ومن كرمِ
لا يرفع الضيف عيناً في منازلنا الاّ الى ضاحكٍ منّا ومبتسمِ
اني وان كان قومي في الورى عَلَماً فانني عَلَمٌ في ذلك العلمِ

وقال الصفيُّ الحلي في تخميس قصيدة السموأل

اذا المرء لم يحجب عن العين نومها ويُغلِ من النفس النفيسة سومَها
أُضيعَ ولم تأمن معاليهِ لومها وان هو لم يحملْ على النفس ضيمها
فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وقد اطّلعنا في هذه الايّام على مقالة مسهبة للكاتب سند الانكليزي محرر مجلة المجلات انذر فيها امراء[1] بلادهِ بسوء المصير اذا بقوا على حالهم الحاضرة وحثّهم على التقرّب من العامة لكي تبقى القلوب على ولائهم . وسيّر هذه الكتابة في البلاد كلها وطلب رأي الامراء فيها فبعثوا اليهِ بالرسائل تترى بين مستحسنٍ ومستهجنٍ وراجٍ وقانط . ولما كان ما اثبتهُ هذا الكاتب يصدق اكثرهُ على امرائنا رأينا ان نثبت خلاصتهُ في هذه المقالة ونشفعها ببعض الرسائل التي وردت عليهِ في هذا الشأن فنقول

قال الكاتب انهُ حرٌّ من حزب الاحرار وان اباهُ من قبلهِ كان يقول لا تصلح حال البلاد الانكليزيّة ما لم يشحن كل امرائها في سفينة كبيرة ويطرحوا في لجة البحر وانهُ ربي على هذا المعتقد منذ نعومة اظفارهِ وصلى الامراء حرباً عواناً بقلمهِ ولذلك لا ينتظر منهُ ان يكون متزلّفاً اليهم بوجه من الوجوه . لكنهُ يحسب انهم قادرون ان ينفعوا بلادهم كثيرًا اذا ارادوا فجرى على مقتضى قول القائل اذا لم تستطع قهر خصمك فسالمهُ واسعَ لتستفيد منهُ. وهذا شأن العامة مع الامراء فانهم لا يستطيعون استئصالهم فمن الحكمة ان يسالموهم ويحثوهم على السير في طريق النفع ولاسيما اذا كان الامراء عريقين في المجد لان السفينة التي مضت عليهِ الاعوام الطوال تغالب الامواج وتصادم العواصف احرى بالبقاء من الزورق الذي بُني بالامس ولا يُعلم كيف يكون مصيرهُ في الغد ولله در القائل

لا تأمل الخيرَ من ذي نعمةٍ حدثتْ فهو الحريصُ على اثوابهِ الجددِ

(١) يراد بالامراء في ما يلي ابناء الشرف الموروث وهم بمثابة الباشاوات في مصر والامراء ومشايخ الاقطاع في بلاد الشام

ثم قال ان الامراء في البلدان الاوربيَّة ولا سيما البلاد الانكليزيَّة صاروا هدفًا لملام الجمهور وسخطهم. وقد رسخ في نفوس العامة انهم اعداء البلاد ولا بدَّ من استئصال شأفتهم. لكنَّ اواسط الناس من ارباب الصناعة والتجارة قد غالبوا الامراء منذ اربعين سنة الى الآن وغلبوهم وابتزُّوا ثروتهم وابتاعوا قصورهم وسكنوها. وهذا الامر صرف جنود الاعداء عن حصون الامراء واغراهم ببغض الاغنياء. فترى همَّ الاشتراكيين الآن منصرفًا الى مناوأة اهل الثروة لا الى مناوأة اهل الوجاهة. وهَدَفُ سهامهم المرابون وارباب المعامل ومالكو الاراضي الزراعيَّة والذين بيدهم القراطيس الماليَّة. فهؤلاء يقصدهم الاشتراكيون بالذات حينما يطلبون قلب النظام الحالي وتوزيع الاموال على الناس بالسواء. وهذه فرصة للامراء يليق بهم اغتنامها لاصطناع العامة ولعلهم اذا اضاعوها الآن ضاعت منهم أبد الدهر

وحجة الاشتراكيين في معاداتهم للاغنياء دون الامراء ان الغنيَّ يذخر امواله ولا ينفق الاَّ القليل من دخله مهما كان وافرًا ولا يتصدَّق الاَّ بالنزر اليسير مهما كان متصفًا بالكرم والاحسان واما الامير فينفق دخلهُ كلهُ على اتباعه واللائذين به ويجعل قصرهُ حمًى للناس وبساتينهُ متنزهًا لهم. لكن الجبنَ قد اخذ من الامراء كلَّ مأخذ فلا يجاهرون بهذا الحق الصراح كانهم يشعرون من نفوسهم انهم متمتعون بحقوق ليست لهم ولذلك ترى رئيس الشحنة (حكمدار البوليس) يأمر وينهى بسلطان مطلق حيث كان الامر والنهي خاصين بالامراء وهم هناك مغلولو الايدي لا سلطةَ لهم ولا كلمة. وقد استولى عليهم اليأس كما صرَّح بذلك احد زعمائهم ولكنهُ مخطئ في ما قال لان الامراء لم يزالوا قادرين على زعامة الشعب. واذا عاش الامير لاجل الشعب بذل الشعب حياتهُ لاجل الامير. ولم يزل كثيرون من الامراء يخدمون الشعب خدمة كبيرة ولا يطلبون عن ذلك عوَضًا ولا جزاء

ثم روى الكاتب حديثًا عن ارل ميث خلاصتهُ ان هذا الامير زار دوق وستمنستر وطلب اليهِ ان يرئس اجتماعًا عموميًّا عصر يوم من الايام فقلَّب الدوق دفترهُ وقال انهُ مرتبط بشغل من الاشغال العموميَّة[٣] كل يوم من الايام التالية بلا استثناء فقال لهُ

(٣) يراد بالاشغال العمومية فتح المستشفيات ووضع اساس المدارس ورفع الاستار عن التماثيل التي تقام للمشاهير والترؤس على الاجتماعات التي تلتئم للبحث في الاعمال العمومية ونحو ذلك فان هذه الاعمال تناط بوجهاء الامة

ارل ميث لا داعي الى العجلة فحسبي يوماً من هذا الفصل ايًّا كان. فقال الدوق انني مشغول بشغل عمومي كل يوم من ايام هذا الفصل. فاندهش ارل ميث من ذلك وقال لهُ أتعني انك ارتبطت بحضور الاجتماعات العموميَّة كل يوم من ايام هذا الفصل ولم تبقِ لنفسك يوماً واحدًا. فعاد الدوق الى دفترهِ يقلبهُ ثم قال معتذرًا لقد ابقيتُ لنفسي يوماً واحدًا وهو لك ان أردت وقد كنت ابقيتهُ لاربى فيهِ كلفدن (٢) فاني اذا لم أرَها في ذلك اليوم مضت السنة كلها ولم ارها. قال ارل ميث وغنيٌّ عن البيان اني اعتذرت اليهِ عن قبول ذلك اليوم وودَّعتهُ متعجبًا من كرمهِ وانهماكهِ في خدمة الجمهور

وقد كان من حظنا ان تعرفنا بارل ميث هذا في الشتاء الماضي فانهُ زار القطر المصري مع زوجتهِ فرأيناهما عاكفين على خدمة نوع الانسان ولا سيما في تهذيب الصغار وتربيتهم على مكارم الاخلاق. وكم من مرة زارا مطبعتنا لهذه الغاية يكتبان الرسائل ويتوليان تصحيحها ويوزعانها مجانًا ويعقدان الاجتماعات ويخطبان فيها مدفوعَين الى ذلك بكرمهما الفطري واعتقادهما الديني. وقد علمنا هذا الصيف ان ارل ميث الآن في البلاد الانكليزيَّة يبذل جهد المستطيع في توسيع الساحات بين المنازل وتركها للجمهور لكي يبقى للفقراء مكان رحب يتنزَّهون فيهِ ويبقى هواء بيوتهم نقيًّا

وقال الكاتب بعد ان روى الحديث المشار اليهِ آنفًا كم من رجل من الاغنياء اصحاب البنوك والقراطيس الماليَّة يقف يوماً واحدًا في الشهر للاعمال العموميَّة العائدة على نفع الجمهور. نعم ليس كل امير يجري مجرى دوق وستمنستر لكن جمهور الامراء المالكين لاملاك البلاد ينفقون دخل املاكهم على الفلاحين الذين فيها ولا يبقي لهم منهُ الاَّ القليل وقد لا يبقي لهم منهُ شيء. مثال ذلك ان اميرًا من امراء ارلندا قال لي ذات يوم كم تظن انني اربح من املاكي في ارلندا. فقلت لا اعلم لكن يظهر لي من سؤالك ان ربحك قليل. فقال انهُ اقل من القليل لانني انفق عليها فوق دخلها التي جنيه كل سنة آخذها من اموال زوجتي الخاصة. واخبرني امير آخر ان لهُ املاكًا في اربع ولايات لكنهُ لا يربح الاَّ من واحدة منها. والظاهر ان امراء الانكليز سيتخلصون من املاكهم قريبًا ويصير اكثرها للاميركيين واليهود

ثم قال ما مفادهُ انهُ لم يزل للامراء مقام رفيع في البلاد وجاه عريض وجميع المناصب

(٢) هي عزوبة كثيرة الغياض والبساتين وقد اشتراها الآن المستر استر الغني الاميركي من دوق وستمنستر بخمسمئة الف جنيه

موسَّدة لهم وما لا ينالهُ ابناء العامة الاَّ بشق النفوس ينالهُ ابناء الامراء عفوًا بلا تعب ولا نصب . والذين يقتدون منهم بدوق وستمبستر سيفي خدمة الجمهور قلال جدًّا فعلى الفضلاء منهم ان يبذلوا جهدهم في اصلاح البقيَّة قبل ان يتسع الخرق على الراقع أي يجب ان تقوم من الامراء انفسهم فئة تدعو الى الخير وتنهى عن المنكر وتصلح ما فسد. وعلى الامراء ان لا يندبوا الماضي ولا يضيعوا الوقت في التحسُّر على ما خسروهُ من السطوة بل ان يغتنموا الفرص لحفظ ما بقي لهم والاَّ اضاعوا هذا ايضًا لان للزمان احكامًا وقد حكم الآن بان تُعطى العامة حقوقًا لم تعطها قبلاً ولا مردَّ لحكمهِ . وعليهم ان يساعدوا الزمان على حفظ ما بقي لهم من السلطان وان يجاروا الجمهور على ما يطلبهُ منهم وهو يطلب امورًا كثيرة اخصها ان تكون الارض للفلاَّح ليفلحها ويزرعها لا ان يبقى اكثرها قفارًا وحراجًا للصيد والقنص كما هي الآن. وان يساوَى بين افراد الناس او يعتبروا بحسب ما يستحقون. وان يعلِّم ابناؤهم وبناتهم وتسهَّل لهم سبل الارتقاء على حدٍّ سوى . وان ينزع التعصُّب الديني الذي هو اسُّ الجور والفطرسة. ثم بسط الكلام على هذه الامور الاربعة وقال في الامر الاول ما خلاصتهُ : يجب ان يملك الفلاحون الارض لكي يحسنوا فلحها وزرعها فتصير مثل اراضي سويسرا وبلجكا بدلاً من ان تبقى للامراء ويستأجرها الفلاحون منهم استئجارًا لكن اعتاص عليهِ ان يجد سبيلاً لنقل الارض من يد الامراء الى يد الفلاحين وعندنا ان ذلك سهل لو جروا على طريقة اهالي لبنان وسواحل الشام فان اكثر الاراضي هناك كان ملكًا للامراء فاباحوا للفلاحين ان يحيوا الموات منها ويتملكوا نصفهُ او ثلثهُ وان يصلحوا المزروع ويتملكوا نصف ما يزيد في قيمتهِ وعلى هذه الصورة احييت الارض الموات وانتقل اكثرها الى الفلاحين وقد كانت العاقبة وخيمةً على الامراء لكن سبب ذلك الترف وقلة التدبير لا مشاركة الفلاحين في الارض لان المدبرين من الامراء لم يزالوا في بسطة من العيش

وقال في الامر الثاني ما خلاصتهُ : يجب على الامراء ان يفتحوا ابواب قصورهم لجميع الذين يودون التقرب منهم ولاسيما لرجال الحكومة وخدَّام المصالح العموميَّة والمشتغلين في خير الجمهور كمعلمي المدارس وملاحظي البوليس وكتَّاب الحكومة وضبَّاط الصحة ومحرري الجرائد كما يفتحونها لكل امير ولو كان عائشًا بالكسل والخمول . وبذلك تتمكن ربط الاتحاد بين الامراء والعامة ويزيد نفوذهم ويعلو مقامهم . ويجب عليهم ايضًا ان يسعوا في تخفيف متاعب الفقراء وانشاء الدور للعجزة لكي يقضوا فيها بقيَّة عمرهم

بالراحة . ولا شبهة في ان بعضهم قد جرى في هذه الخطة الحميدة فاصبحت البلاد مدينونة لهم. وعلى سائر الامراء ان يقتدوا بهم ويبذلوا جهدهم في نفع الجمهور لكي يبقى الجمهور حافظاً لهم عهود الصداقة والولاء

ويذكرنا هذا القول بما يفعلهُ كثيرون من امراء مصر لهذا العهد فان دورهم مقصد لكل اديب وعطاياهم تنهال على كل محتاج ولم نرَ جمهور الفقراء وقوفاً بقصاعهم حول دور الامراء في شهر رمضان الاَّ افتخرنا بالكرم الشرقي ووددنا لو بقي امراؤنا محافظين على هذه الخطة الحميدة ولله در القائل

أحسنْ الى الناس تستعبدْ قلوبهمُ فطالما استعبد الانسانَ احسانُ

ثم استشهد الكاتب بكلام معقد لكارليل الكاتب الشهير مفادهُ : ان كل احد من الامراء يستطيع ان يكون ملكاً في بلادهِ اذا بذل جهدهُ في هذا السبيل لان مصالح اهل البلاد من الفلاَّح الكبير الى الاجير الحقير متعلقة بمالك الارض وهو قادر ان يصلح كل خلل فيها ويزيل كل فساد منها . وعليهِ ان لا يكتفي باصلاح الارض بل يصلح سكانها ايضاً حتى تسعد البلاد والعباد وتعود للامراء سلطتهم السابقة وتكون نافعة لهم وراضية لوجههِ تعالى وممدوحة من القريب والبعيد وخليقةً بان يتمنَّاها ملوك الارض

وقد اذكرنا ذلك قول شهاب الدين الخفاجي في مقامة الغربة وقد سأل " عن بيضة البلد وطودها الذي لهُ بسفحها ارفع سند فقالوا هو النضر بن كنانة . المقرطس سهام آرائهِ من اعز كنانة ... من شجرة مورقة النسب. مثمرة يبالغ ثمار الحسب . جاههُ عريض طويل فائض على العدوِّ والخليل . فقلتُ بخٍ بخٍ الجاه زكاة الشرف ومن احسن الى من اساء اليهِ فقد انتصف "

ثم استطرد الكاتب الى الامر الثالث وهو سعي الامراء في تعليم اولاد العامة وتهذيبهم وقال في هذا الصدد انهُ لا ينكر سعي البعض منهم في هذا السبيل الحميد لكنهُ يودُّ ان يقتدي بهم سائر الامراء وان خير شكر يشكرهم بهِ هو عدُّهُ اياهم قدوةً يقتدي بها غيرهم. واطال الكلام على الامر الرابع وهو ازالة التعصب الديني من رؤساء الديانة وشيوخها الذين يتخذون تمذهبهم بمذهب الحكومة ذريعة الى الغطرسة والاستبداد ويحسبون الدين ما دانوا بهِ وناصبون غيرهم الشر لانهم يدينون بدين آخر وقال ان الامراء يستطيعون ان يفيدوا ابناء بلادهم كثيرًا بازالة هذا التعصب

اما الرسائل التي وردت جواباً على هذه المقالة فمنها رسالة للورد غراسيه قال فيها

" يسؤني ان اخالفك في اكثر ما جاء في مقالتك فقد ظلمت الامراء ورؤساء الدين واخطأت خطاء فظيعاً في انك لم تبيّن ان اكثر ما يشكو منهُ العامة انما هو نتيجة السلطة التي أُعطيت لهم ولم يحسنوا استعمالها : الى ان قال لو كنت قادرًا الآن ان ابحث في هذه المسائل كما كنت منذ عشرين او ثلاثين سنة لابنت لك حججي مفصّلاً اما وقد ناهزت الحادية والسبعين فلا اراني استطيع ذلك

ومنها رسالة للورد ساي قال فيها : حبذا لو تمّ ما اقترحتهُ لكن قد حاول البعض ذلك قبلاً وفشلوا ولقد اخطأت في نسبتك القوة والسطوة الى الامراء فانهم ليسوا اقوى من العامّة الذين حولهم ولا هم شرٌّ منهم. والامراء انواع فبعضهم كالعظم الرميم الذي بلي لتقادم عهدهِ وبعضهم كالفطر الذي هو ابن يومهِ وبعضهم منتظم في خدمة الحكومة واكثرهم يسعى في خدمة ابناء نوعهِ بقدر طاقتهِ

وكتب اليهِ امير من اصحاب الاملاك الواسعة في ارلندا يقول :

اني اوافقك على كثير ممَّا اوردتهُ في مقالتك . وطالما اعترفت جهارًا بكرم ابناء بلادنا وباستعدادهم لاكرام امرائهم فوق استحقاقهم واوافقك على انهُ يجب على الامير ان يبذل جهدهُ في خدمة ابناء وطنهِ وقد كنت سائرًا في هذه الخطة ولكن نظام الاراضي الجديد في ارلندا غلَّ يديَّ ومنعني من اصلاح اراضيَّ بعد ان كنت ساعياً في اصلاحها واصلاح شأن سكانها

وكتب اليهِ آخر يقول : يظهر لي انك تنسب الى الامراء قوةً تزيد على قوتهم وعندي انهم مثل سائر الناس وهم اكثر انهماكًا باشغالهم من غيرهم ولا ينالون من الجزاء على اتعابهم ما ينالهُ عامة الناس . وقد بلغني ان اميرًا منهم خطب في قومهِ مرةً خطبةً نفيسة في موضوع سياسي واطلع امير آخر عليها فقال لواحد من قوم الامير الاول حبذا لو طبعتم هذه الخطبة ونشرتموها فقال لهُ ذاك لو كان الخطيب احد عامة الناس لرحّب الجمهور بخطبتهِ اما الآن فالجمهور يعتقد ان الامراء اعداؤهم فلا يسمعون منهم كلمةً ولا يرعون لهم حرمةً

وكتب امير آخر في احدى الجرائد الاسبوعيَّة يقول ان ما نادى بهِ المستر ستد هو عين ما جاهرت بهِ تلك الجريدة دواماً وان الامراء هم بالطبع اصحاب المصالح الزراعيَّة وعليهم ان يجعلوا انفسهم قادةً للمزارعين ويسعوا معهم في اصلاح شأن الزراعة لان مصالحهم كلها متعلقة بها ويجب ان لا يتهاملوا في ذلك بل يغتنموا الفرصة الحاضرة

وكتب آخر يقول: ان الكلمة قد صارت الآن للامة ولم تبق الى للامراء فعلى الامراء ان يبذلوا جهدهم في ارشاد الامة حتى تسير بهم في الطريق السوي ومهما كان الامير عريقاً في المجد فلا تسمح لهُ كلة الآن ما لم يكن محبوباً من قومهِ ساعياً في خيرهم . وعزا التأخر في زراعة البلاد الى اتساع املاك الامراء فلا يستطيعون ان يقوموا بخدمتها كما لو كانت مقسمة على افراد الفلاحين . ولام الامراء لانهم لا يتفقدون مزارعهم بانفسهم ولا يتقربون من فلاحيهم بل يقضون الاوقات في الملاهي والملاذ بعيدين من املاكهم ولا يهمهم الاَّ قبض الاجار من الفلاحين خربت املاكهم او عمرت الى ان قال وهم الساعون الى حتفهم بظلفهم لكن لم تزل لهم فرصة ليتلافوا ما فات ويصلحوا ما بقي اذا قاموا بالواجب عليهم

وكتب اليهِ امير آخر يقول قرأت مقالتك بما لا مزيد عليهِ من السرور واني اصادق على كل ما قلتهُ فيها . ولكنني اخشى من انهُ قد فات الوقت فان الامراء طائفتان طائفة تعتقد ان لها حقًّا الهيًّا بالسيادة وكل من يعارضها في سيادتها فهو من الفوضويين . وقد تولى عقولها الحرَض لقلة استعمالها . ولم تزل هذه الطائفة عائشة كالنباتات الحلمية (التسلقية) التي تعيش على غيرها. والطائفة الثانية عائشة لنفسها لا يهمها امر المستقبل وهي تقول ما فائدتي من المستقبل حتى اهتمّ بهِ وغرضها الاول والاخير التمتُّع بالملاهي والملاذ واغتنام فرص السرور ولو بارتكاب المحارم فلو كان امامك طائفة تعقل لسهل عليك اقناعها بالدليل لكن ليس امامك الاَّ طائفة من البلداء وطائفة من السفهاء واقناع هاتين الطائفتين ضرب من المحال . وحبذا لو كان الامر على غير ما وصفتُ لك لكن قدِّر فكان. وعلى كلٍّ فاني شاكر لك على مقالتك لكنهم لا يصدقون ولو قام واحد من الاموات

وكتب اليهِ رجل ليس من الامراء يقول ما مؤدَّاهُ انني قرأت مقالتك

وقد أسمعت لو ناديت حيًّا ولكن لا حياة لمن تنادي

ونارًا لو نفختَ بها اضاءتْ ولكن انت تنفخُ في رمادِ

وخيرٌ للامة ان لا يلبي احد من امرائنا نداءك لانهُ ليس اضرَّ بالامة من ان تقوى طائفة الامراء وتعزَّز لاسباب كثيرة اذكر بعضها

الاولى ان تميز طائفة من الناس بحقوق موروثة هو بمثابة تخويلها حق الغطرسة والإضرار بالغير

الثاني ان هذا التميز يضعف همم العامة ويسهل لها الاستعباد ويعسّر عليها الارتقاء

الثالث ان الطائفة الممتازة تدَّعي الفضل والنُبل مهما ارتكبت من الدنايا والمآثم فيفسد

مقياس الفضيلة عند الامة كلها . (ولعلّ ما اثبتهُ الزمخشري في اطواق الذهب من " ان علماء السوء جمعوا عزائم الشرع ودونوها ثم رخصوا فيها لامراء السوء وهوّنوها " هو السبب الاكبر لانحطاط مقياس الفضيلة)

الرابع ان هذا الامتياز مجحف بحقوق الامة مضر بمصالحها لانهُ يحصر المناصب بابناء الامراء ويحرم منها ابناء العامة ولو كانوا احقّ بها

وكتب اليهِ كثيرون غير هؤلاء مستحسنين ما اقترحهُ. وعندنا ان الجاه الموروث كالمال الموروث حقٌّ شرعيٌّ للوارث يرضى الناس اجمع بحسب النظام الحالي . وما من منصف يتمنى ان يكون ابن الغني سفيهًا مسرفًا لكي يبذّر امواله فتتوزع على الناس بل ان يكون حكيمًا مدبرًا ليستفيد من ثروة والدهِ وينفع بها ابناء نوعهِ . فليس من الانصاف ان نتمنى زوال الشرف الموروث بل ان يزيد ابناء الشرفاء شرفًا وجاهًا وان يُوَفّقوا لخدمة ابناء نوعهم بشرفهم وجاههم حتى يحق لهم ان يقولوا

أنَّا لنبني على ما شيدتهُ لنا آباؤنا الغرُّ من مجدٍ ومن كرمِ

تقدُّم اميركا في مئة عام

لقد اتجهت افكار الناس خاصتهم وعامتهم في هذه الاثناء الى الولايات المتحدة الاميركيَّة بسبب المعرض العظيم الذي انشأتهُ تذكارًا لاكتشاف كولمبس لقارة اميركا منذ اربع مئة عام . فان الذين شاهدوا هذا المعرض يحدّثون بغرائبهِ وغرائب البلاد الاميركيَّة كلها حتى لقد انستهم عظمتها عظمة الممالك الاوربيَّة التي مضى عليها مئات من الاعوام راقية مراقي الحضارة . على ان الخاصة منهم كانوا يعلمون ان الولايات المتحدة قد ارتقت ماديًّا ومعنويًّا منذ استقلالها الى الآن ارتقاء لا مثيل لهُ في تاريخ العمران . وقد رأينا ان نبسط الكلام على ذلك في هذه المقالة معتمدين على احصاءات ذكرها الدكتور بروك في جريدة الفورتنيتلي الشهيرة وفي النيَّة ان نجعل ذلك تمهيدًا للبحث عن اسباب هذا الارتقاء لعلنا نجد فيهِ ما يرشدنا في اقتفاء خطى تلك البلاد

ومعلوم ان الاوربيين الذين دخلوا الولايات المتحدة الاميركيَّة كانوا في اول امرهم شرذمة صغيرة مستضعفة هجرت بلادها من الاضطهاد . ولم يكونوا في شيء من القوة والمنعة كالامم الفاتحة ولا وجدوا في البلاد عمرانًا يمكن اقتباسهُ او الجري عليهِ بل وجدوا